

كتاب الشباب

الفخ البشري



أحمد عبدالسلام البقالي

تفصيل

مكتبة العبيكان



الْفَخُّ الْبَشَرِيّ

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيدة

لَمْ يَكُنِ الْمِثْلُ الْمُنِيِّ «أحمد الطيّبي» يَظُنُّ أَنَّهُ سَيُمَثِّلُ أَكْثَمَ
أَدْوَارِ حَيَاتِهِ ذَلِكَ الْمَسَاءَ .

أَوْقَفَ سَيَّارَتَهُ عَلَى الْجُرْفِ الْمُطَّلِّ عَلَى الْمَحِيطِ وَنَزَلَ . أَنْفَتَحَتِ
الْأَبْوَابُ الْآخَرَى ، وَنَزَلَتْ زَوْجَتُهُ زُبَيْدَةُ الْحَسَنَاءُ ، رَغِمَ أَمْتِلَائُهَا
مُؤَخَّرًا ، وَنَزَلَ طِفْلَاهُ طَارِقٌ وَرِضَا ، وَهُمَا فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ ،
وَالْعَاشِرَةِ تَبَاعًا .

وَلَمْ تَمُضْ عَشْرُ دَقَائِقَ حَتَّى كَانَ الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ الطَّيِّبِيُّ يَشْرَبُ
شَايَهُ ، وَيَقْرَأُ الْجَرِيدَةَ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ صَيْدِهِ الْقَصِيرِ ،
وَقَدْ رَكَزَ الْقَصَبَةَ أَمَامَهُ ، بَعْدَمَا رَمَى بِالصَّنَّارَةِ وَالطَّعْمِ بَعِيدًا ،
خَلْفَ الْأَمْوَاجِ الَّتِي كَانَتْ تَرْتَدُّ بِلُطْفٍ عِنْدَ التِّقَائِهَا بِجِدَارِ
الْجُرْفِ .

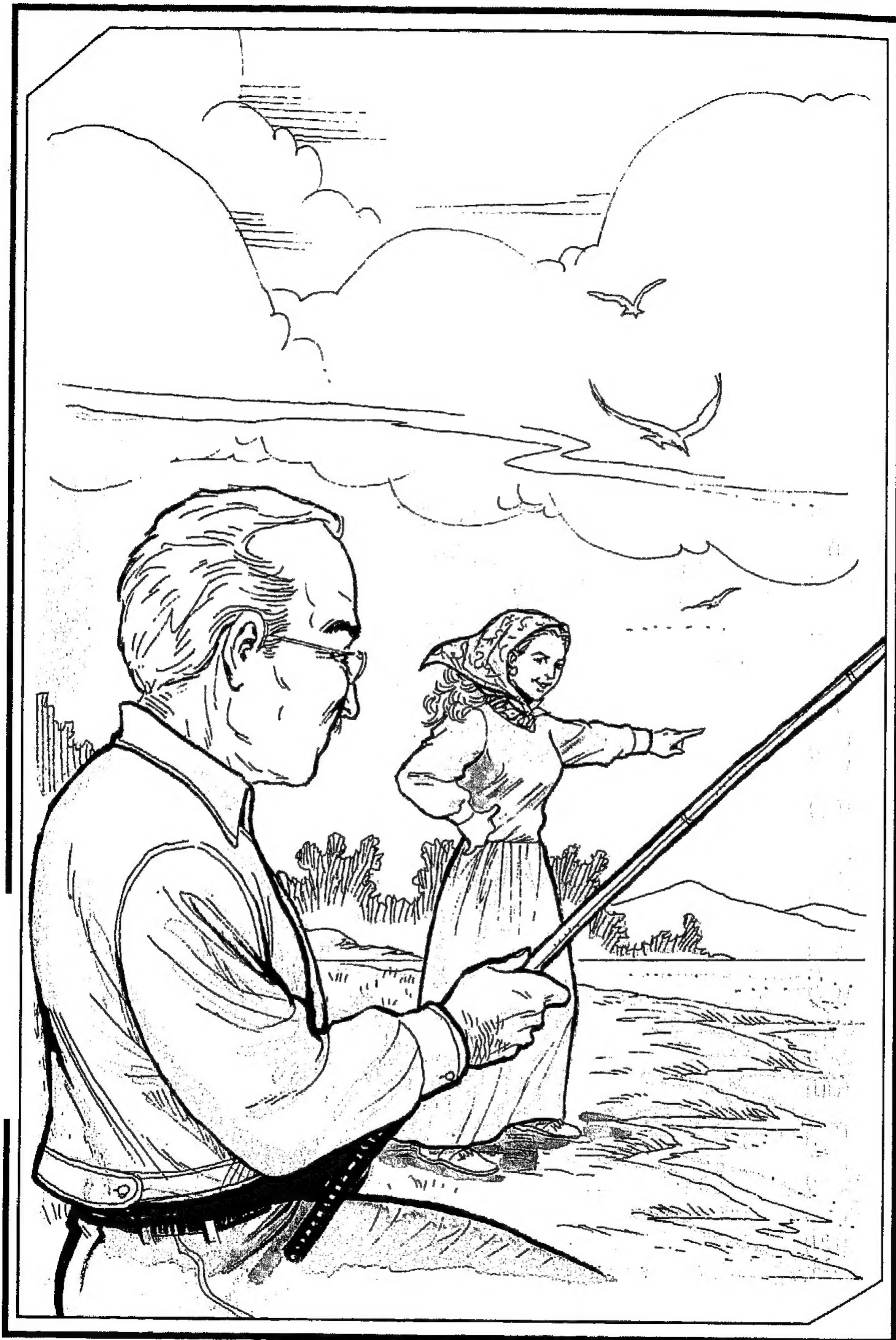
كَانَ يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ طَاقِيَّةَ اسْكُوتْلَانْدِيَّةٍ ، مُلَوَّنَةً دَوَائِرُهَا

بِجَمِيعِ الْوَانِ قَوْسُ قُزَحَ ، وَعَلَى عَيْنَيْهِ نَظَّارَةٌ ذَاتُ إِطَارٍ ذَهَبِيٍّ
رَقِيقٍ ، وَقَدْ اخْتَلَطَ الشَّيْبُ فِي وَجْهِهِ الْمُسْتَدِيرِ بِشَعْرِ شَارِبِهِ
الدَّقِيقِ .

وَاسْتَرْعَى انْتِبَاهَهُ عُنْوَانٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْمِدَةٍ ، بِالصَّفْحَةِ
الثَّالِثَةِ ، يُعْلِنُ : «عِصَابَةُ عَيْنِ الذَّنَابِ تَقْتُلُ رَجُلًا وَتَخْتَطِفُ
زَوْجَتَهُ» .

كَانَتْ تَسْتَهْوِيهِ الدَّرَامَا الْإِنْسَانِيَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَغْتُرُّ عَلَيْهَا ،
مِنْ حِينَ لآخرَ ، بَيْنَ صَفَحَاتِ الْجَرَائِدِ ، فَيَقْرَأُهَا بِشَغَفٍ وَاهْتِمَامٍ
مِهْنِي ، لَعَلَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْهَا مَسْرَحِيَّةً أَوْ رِوَايَةً
تَلْفِزِيُونِيَّةً . وَقَرَأَ :

«وُجِدَتْ جُثَّةُ رَجُلٍ فِي نَحْوِ الْأَرْبَعِينَ عَلَى شَاطِئِ سَيِّدِي
عَبْدِ الرَّحْمَنِ . عَثَرَ عَلَيْهَا صَيَّادٌ صَبَاحَ أَمْسٍ ، وَتَبَيَّنَ بَعْدَ
التَّحْقِيقِ أَنَّ الْقَتِيلَ كَانَ يَتَنَزَّهُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَطِفْلَتُهُمَا ، حِينَ
فَاجَأَتْهُمُ عِصَابَةُ عَيْنِ الذَّنَابِ الَّتِي أَشَاعَتِ الرُّعْبَ فِي الْمَنْطَقَةِ ،
فَاعْتَدَتْ عَلَى الزَّوْجِ ، وَتَرَكْتَهُ فِي حُكْمِ الْمَيِّتِ ، وَأَخَذَتِ الزَّوْجَةَ



والطفلة في سيارة الأسرة . والبحث جاد في العثور على هذه العصابة الإجرامية التي يبدو من تصرفاتها الوحشية أنها تتعاطى المخدرات الشديدة المفعول ، وتُاجر في قطع السيارات المسروقة لإشباع نهمها من المخدرات . . . » .

ورفع أحمد الطيبي عينيه في قلق عن الجريدة ليمسح بنظرته المنطقة المحيطة به . كان الجرف بعيداً عن الطريق العام .

وحين لم يرَ إلاّ ولديه يلعبان تنفس مرتاحاً ، وقلب الصفحة ، ومعها طوى قلقة ؛ فوجد عصابة من عين الذئاب (بالدار البيضاء) ، في هذه المنطقة المعزلة من ضواحي (الرباط) مُستعلاً جداً .

وألقى نظرة على رأس قصبته الدقيق ، ثم عاد إلى صفحة الرياضة .

وصيَّت له زوجته قهوة ساخنة من (الترموس) ، ووقفت تمدها له ، وحين رفع عينيه إليها وجدها تنظر بعيداً ، فنظر إلى حيث كانت تنظر ، فإذا سبعة أشخاص قادمون نحوهم .



«العصَابَةُ مَكُونَةٌ مِنْ سَبْعَةٍ !» .

ونَهَضَ مِنْ كُرْسِيِّهِ ، وَأَبْعَدَ كَأْسَ الْقَهْوَةِ بِيَدِ مَرْتَعَشَةٍ ، فَأَعَدَى
زَوْجَتَهُ زَبِيدَةً بِقَلْقِهِ .

- مَنْ يَكُونُ هَؤُلَاءِ ، يَا أَحْمَدُ ؟

- لَا أَذْرِي ، وَلَكِنْ «مِنْ الْحَزْمِ سُوءُ الظَّنِّ» . أَتَيْنَ الْوَلَدَانِ ؟

- فَوْقَ صَخْرَةٍ تَحْتَ الْجُرْفِ . يَرْمِيَانِ الْحَصَى فِي الْمَاءِ .

- لِمَاذَا ؟ هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ يَنْوُونَ شَرًّا ؟

- لَا أَذْرِي ، وَلَكِنَّ الْاِحْتِيَاظَ وَاجِبٌ .

كَانَ السَّبْعَةُ يَقْتَرِبُونَ بِسُرْعَةٍ مُقْلِقَةٍ . . وَلَمْ يَبْدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ
سَيَتَحَوَّلُونَ عَنْ اتِّجَاهِهِمْ .

وَدَارَ مَخُوحُ أَحْمَدَ الطَّيِّبِ بِسُرْعَةٍ مُفْرِطَةٍ . . «مَاذَا يَفْعَلُ لَوْ كَانَ
هَؤُلَاءِ هُمْ عَصَابَةُ عَيْنِ الذَّنَابِ ؟» .

وَتَوَجَّهَ إِلَى نَفْسِهِ بِاللُّومِ : «وَلِمَاذَا اخْتَارُ أَنَا الْخُرُوجَ لِلصَّيْدِ فِي
هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ الْمَعْزُولَةِ ، خُصُوصًا فِي هَذَا الْيَوْمِ ؟» .

وتدارك نفسه بسرعة: «هذا تفكيرٌ سلبيٌّ ! فكّر في طريقة
للنّجاة بأسرّتك . إذا كُنْتَ لا تستطيعُ التّمشيلُ على هؤلاءِ
السّبعة ، وتخديرهم بفنّك حتّى تأتي النّجدةُ فأنت لست بفنانٍ !!
كلُّ ما تعلّمتهُ على الخشبةِ من مواجهةِ الجماهيرِ هُراءٌ في هُراءٍ !» .
العصابةُ تقتربُ بسرعةٍ . . إنّهُ الآن يستطيعُ تمييزَ رؤوسهم
الشّعثاءِ وملابسِ رعاةِ البقرِ الزرقاءِ الوسخةِ .

وهمسَ لزوجّتهِ :

- انزلي إلى حفافِ الجُرْفِ . حاولي أن تبثّعيدي عن هذا
المكانِ مُسترةً بالجُرْفِ .

- قد يكونون مجرّدَ جماعةٍ من الرّعاةِ وأولادِ الباديةِ اجتذَبهم
لمعانُ السّيّارةِ .

فنهرها من بين أسنانه :

- افعلي ما أقولُ لك !

وانحنى بهدوءٍ فاستلّ القصبةَ من الأرضِ ، وتظاهرَ بأنّه
يُلقي بالطّعمِ بعيداً .

وبينما دماغه يُقلِّب الاختياراتِ القليلةِ اليائسةَ التي وردت عليه بدونِ أملٍ ، لاحَ له على وجهٍ قفّةٍ مسدّسٌ لعبٍ شبيهٌ بنوع (ماغنوم) البُوليسي الكبير كانَ اشتراه لرضاً في عيد ميلاده على أن يستعيره هو ليستعمله في الأدوار التي تتطلبه. فسانحنى والتقطه شاكرًا لله على المعونة غير المنتظرة.

وركّز المسدّس في حزامه حيث يراه القادمون، وصَبَّ فكره على السيناريو الذي عليه أن يضعهم فيه، وعلى الحوار الذي يجب أن يديره، ويوجّهه الوجهة التي تخدم هدفه.

وحين لم يبقَ بينه وبينهم إلا نحو عشرين مترًا وقفَ على رأس التل مفتوح الساقين؛ حتّى لا يترك الفرصة لفرائصه لترتعد، وحتّى يوحى موقفه إلى خصومه بالقوة والاعتداد.

وحين لم يبقَ بينهما إلا عشرة أمتار صاحَ فيهم:

— ماذا تريدون ؟

فلَمْ يُجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، بل استمروا في السير نحوه.

وهنا استلّ المسدّس، وصوبه نحو رئيسهم، وصاحَ صيحةً عسكريةً:



- حَدُّكَ ثُمَّ ! الزِّم مَكَانَكَ !

فَتَوَقَّفَ رَئِيسُ الْعِصَابَةِ ، وَأَشَارَ لَجَمَاعَتِهِ بِالتَّوَقُّفِ ، وَرَفَعَ
يَدَيْهِ ، وَالتَفَتَ بِجِدِّ سَاخِرٍ إِلَى رِفَاقِهِ :

- اَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ يَا أَوْلَادُ ! الرَّجُلُ مَعَهُ مُسَدَّسٌ .

وَوَقَّفَ يَنْظُرُ بَعَيْنَيْنِ ذَابِلَتَيْنِ مُخَدَّرَتَيْنِ .

وَصَاحَ أَحْمَدُ الطَّيِّبِيُّ :

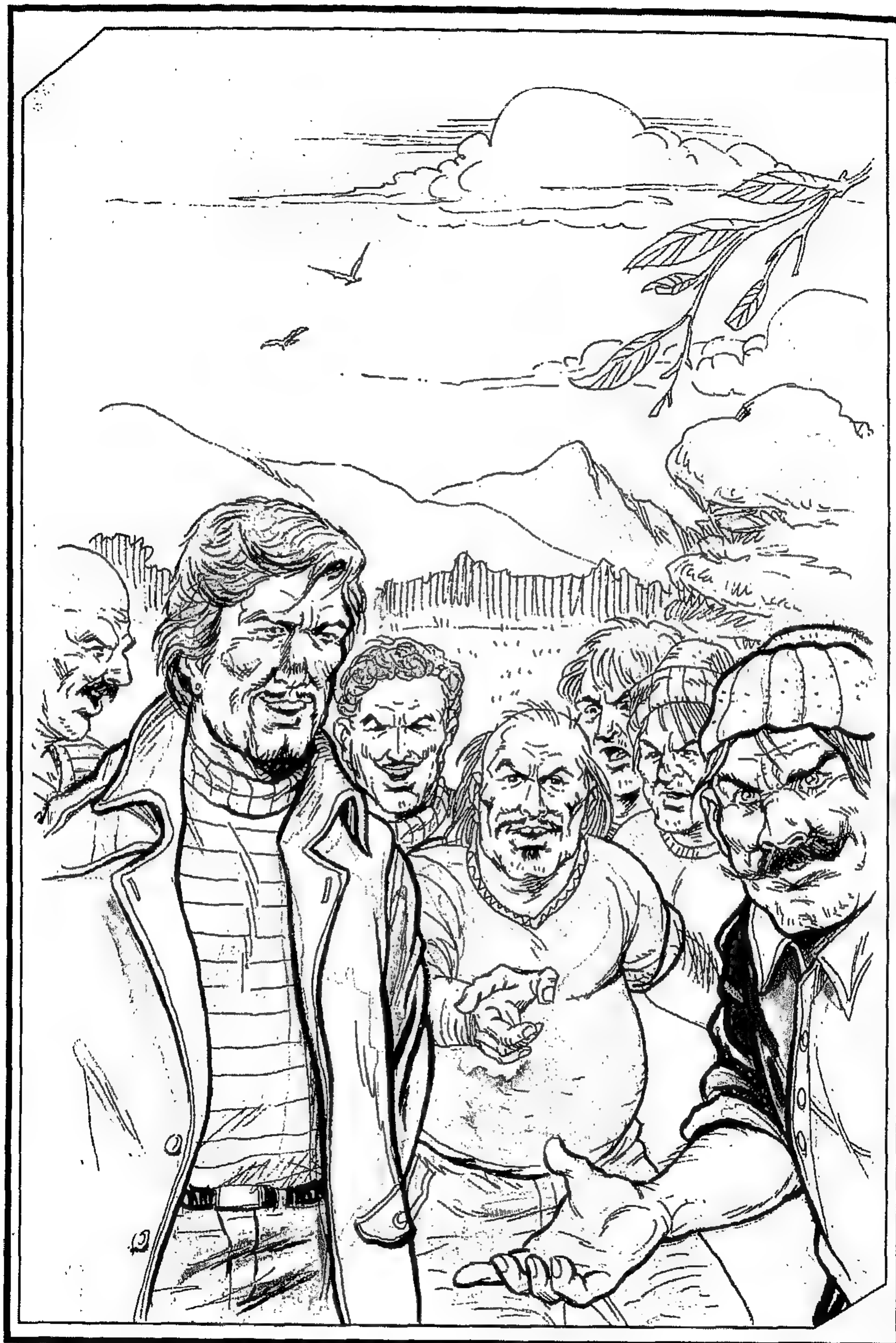
- مَاذَا تُرِيدُونَ ؟

فَرَدَّ الرَّئِيسُ الشَّرِيسُ بِمَسْكَنَةٍ تَمْثِيلِيَّةٍ :

- وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي لَا نُرِيدُ إِلَّا أَنْ نُطَلَّ عَلَى الْبَحْرِ مِنْ فَوْقِ
الْجُرْفِ . . نُرِيدُ أَنْ نَرَى شَمْسَ الْأَصِيلِ .

وَهُنَا انْخَرَطَ أَفْرَادُ الْعِصَابَةِ فِي غِنَاءٍ مَقْطُوعَةٍ الْآلَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ
بِالْحَنَانِ نَشَازٍ :

« شَمْسِ الْأَصِيلِ . . . يَا لَآلَآءُ ، يَا لَآلَآءُ ، يَا لَآلَآءُ !
شَمْسِ الْأَصِيلِ » .



وَحِينَ انْتَهَوْا ضَحِكَ رَئِيسُهُمُ الَّذِي كَانُوا يَدْعُونَهُ «بِالْأَفْقَمِ»
لَاغْوِجَاجٍ فِي فَمِهِ ، وَأَسْدَلَ يَدَيْهِ مُسْتَخْفًا بِتَهْدِيدِ الطَّيِّبِ ،
وَمُشِيرًا إِلَى الْجَمَاعَةِ لِتَتَّبِعَهُ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ الْمِثْلُ مَفْتُوحِ السَّاقَيْنِ
وَقَدْ طَالَ ظِلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى حَاذَى أَقْدَامَهُمْ . وَحِينَ تَلَكَّأَ
الْبَعْضُ خَوْفًا مِنَ الْمُسَدِّسِ صَاحَ فِيهِمْ سَاخِرًا :

- إِنَّهُ لُغَبَةُ أَطْفَالٍ !

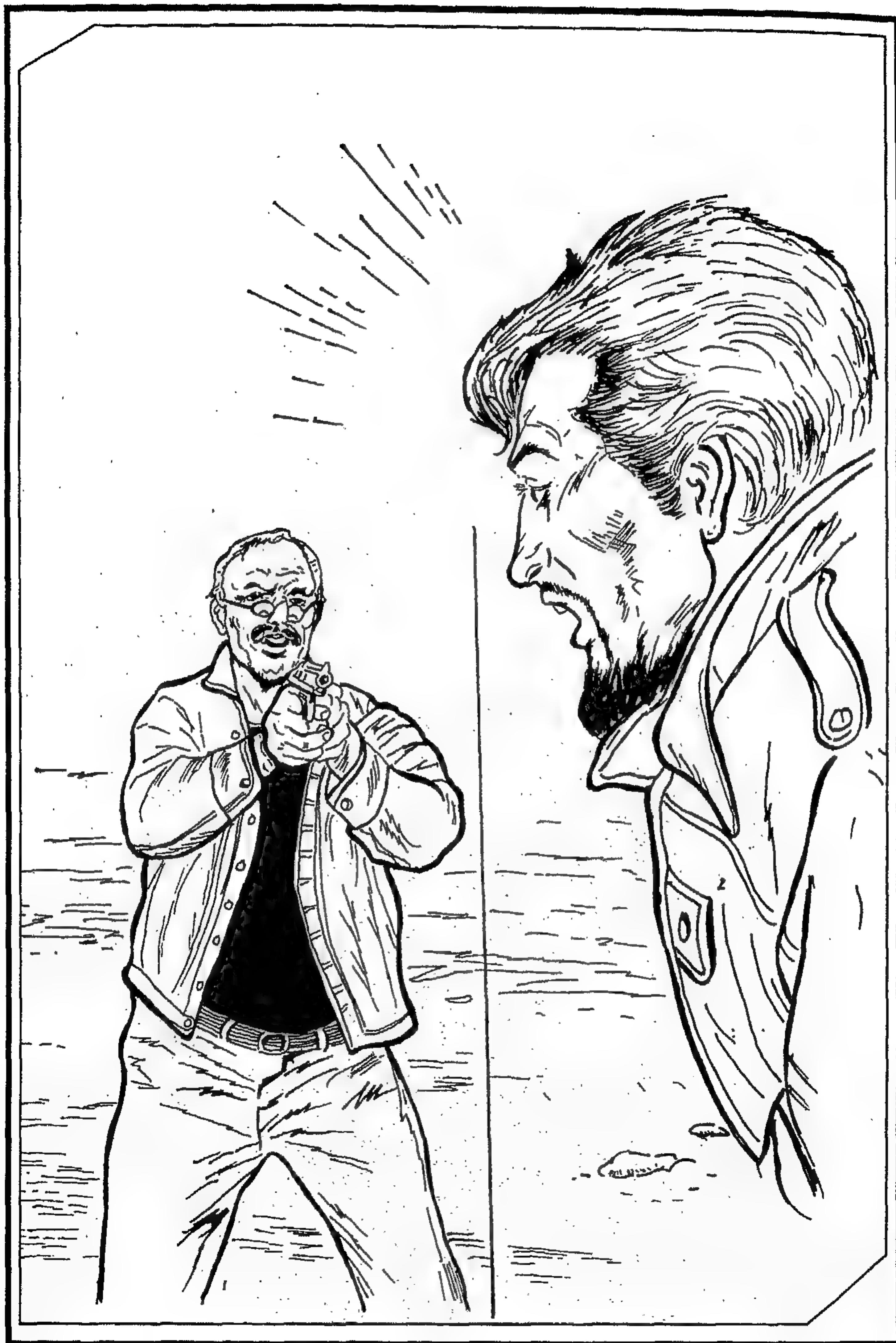
فَصَاحَ بِهِ الطَّيِّبُ :

- هَلْ تُرَاهِنُ ؟ هَلْ تُرَاهِنُ عَلَى أَنَّهُ لُغَبَةُ أَطْفَالٍ ؟ سَتُرَاهِنُ
بِحَيَاتِكَ !

وَانْقَلَبَ تَعْبِيرُ وَجْهِ الْأَفْقَمِ السَّاخِرِ إِلَى عُبُوسٍ كَالِحٍ شَرِيسٍ ،
وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الَّذِي خَلْفَهُ دُونَ أَنْ يَنْقُلَ بَصَرَهُ عَنِ الطَّيِّبِ
لِيُطَوِّقَهُ مِنَ الْيَسَارِ . وَمَا كَادَ الرَّجُلُ يَتَحَرَّكُ حَتَّى صَرَخَ فِيهِ أَحْمَدُ
الطَّيِّبِ :

- اِلْزَمْ مَكَانَكَ ، إِذَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تَذُوقَ طَعْمَ مُحْكٍ . . .

وَلَوَّحَ بِالْمُسَدِّسِ اللَّامِعِ فِي وَجْهِ الْأَفْقَمِ وَقَالَ :



- هَذَا مُسَدَّسٌ بُولِيسِيٍّ مِنْ نَوْعِ «مَاغْنُومٍ - فُوزْتِي فَايْف» .

نَطَقَهَا بِالْإِنْجَلِيزِيَّةِ ، كَمَا حَفِظَهَا فِي أَحَدِ أَذْوَارِهِ الْقَدِيمَةِ
لِيَبْهَرَهُمْ . وَأَضَافَ :

- إِنَّهُ يُصِيبُ الْإِبْرَةَ عَنْ بُعْدِ مِائَةِ مِثْرٍ ! وَكَانَ يُمَكِّنُ لِي أَنْ
أَجْرِبَهُ أَمَامَكُمْ لِتَرَوْا مَفْعُولَ هَذَا الْمَذْفَعِ الْمُتَنَكِّرِ فِي زِيٍّ مُسَدَّسٍ
صَغِيرٍ ، لَوْلَا أَنَّ بِهِ سِتَّ رَصَاصَاتٍ فَقَطْ وَأَنْتُمْ سَبْعَةٌ !
وَصَاحَ أَحَدُهُمْ مِنَ الْخَلْفِ :

- حَتَّى وَلَوْ أَصَبْتَ سِتَّةً مِنَّا ، سَيَبْقَى وَاحِدٌ لِيَصْفِيَّ مَعَكَ
الْحِسَابَ !

فَأَجَابَهُ الطَّبِيبُ بِلَهْجَةٍ مُسْتَرْخِيَةٍ تُوحِي بِالثِّقَةِ الْكَبِيرَةِ فِي
نَفْسِهِ .

- لَقَدْ حَسِبْتُ حِسَابِي جَيِّدًا . سَوْفَ أَصْفِي أَقْوَاكُمْ
بِالرَّصَاصَاتِ الْمُسْتِ ، وَسَأُبْقِي أَوْعَفَكُمْ لِأَشْحَقَهُ بِيَدَيَّ
هَاتَيْنِ ! فَأَنَا حَائِزٌ عَلَى الْحِزَامِ الْأَسْوَدِ فِي مُصَارَعَةِ الْكَرَاتِيهِ !

وَنَزَلَ صَمْتُ أَحَسَّ فِيهِ الطَّيْبِي بِالزَّهْوِ وَالِانْتِصَارِ عَلَى
الْعِصَابَةِ .

ونطق الأفقم مُشيراً إليه باستخفافٍ :

- حزامٌ أسودٌ بذلك البطن ؟!

ضبطته ملاحظته الأفقم على حين غفلة منه ، فلوّح بمسدسه
سريعاً ، وسحب بطنه بينما هم ينظرون إلى المسدس ، وقال :

- الكراتيه فنٌّ لا علاقة له بشكل الجسم ولا حجمه !

وكان العرق قد ملاً وجهه ، وبدأ يتصبّب على سائر
جسده ، وهو يحسّ بقطراته تتجمّع تحت إبطيه . خلع نظارته
السوداء لمسحها من بخار العرق الذي بدأ يحجب رؤيته ،
فبانت عيناه الدعجاوان ، وحاجباه المقتربان .

وهنا صاح أحد أفراد العصابة مُتذكّراً :

- إيه ! الآن تذكّرت ! ألم تعرفوه ؟ إنه ممثّل . . . ممثّل قديم !

رأيتُه مرّة في التلفزيون . إنه أحمد الطيّبي !

فَقَالَ الْأَفْقَمُ ، وَقَدْ دَخَلَ مَرْحَلَةَ الْيَقِينِ بَعْدَ السُّكُوتِ ، مُوجَّهًا
الْكَلَامَ لِأَحْمَدَ الطَّيِّبِي :

- كِدْتَ تَنْجَحُ فِي التَّمْثِيلِ أَمَامَنَا ! وَلَكِنَّ الْمَسْرَحِيَّةَ انْتَهَتْ ،
وَأَسْدَلَ السُّتَارُ ! وَقَدْ تَعَبْنَا وَاقِفِينَ .

وَصَفَّقَتْ بَقِيَّةُ الْعَصَابَةِ وَهَتَفَتْ فِي تَهْكُمٍ : « بَرَاوُ ! بَرَاوُ ! » .

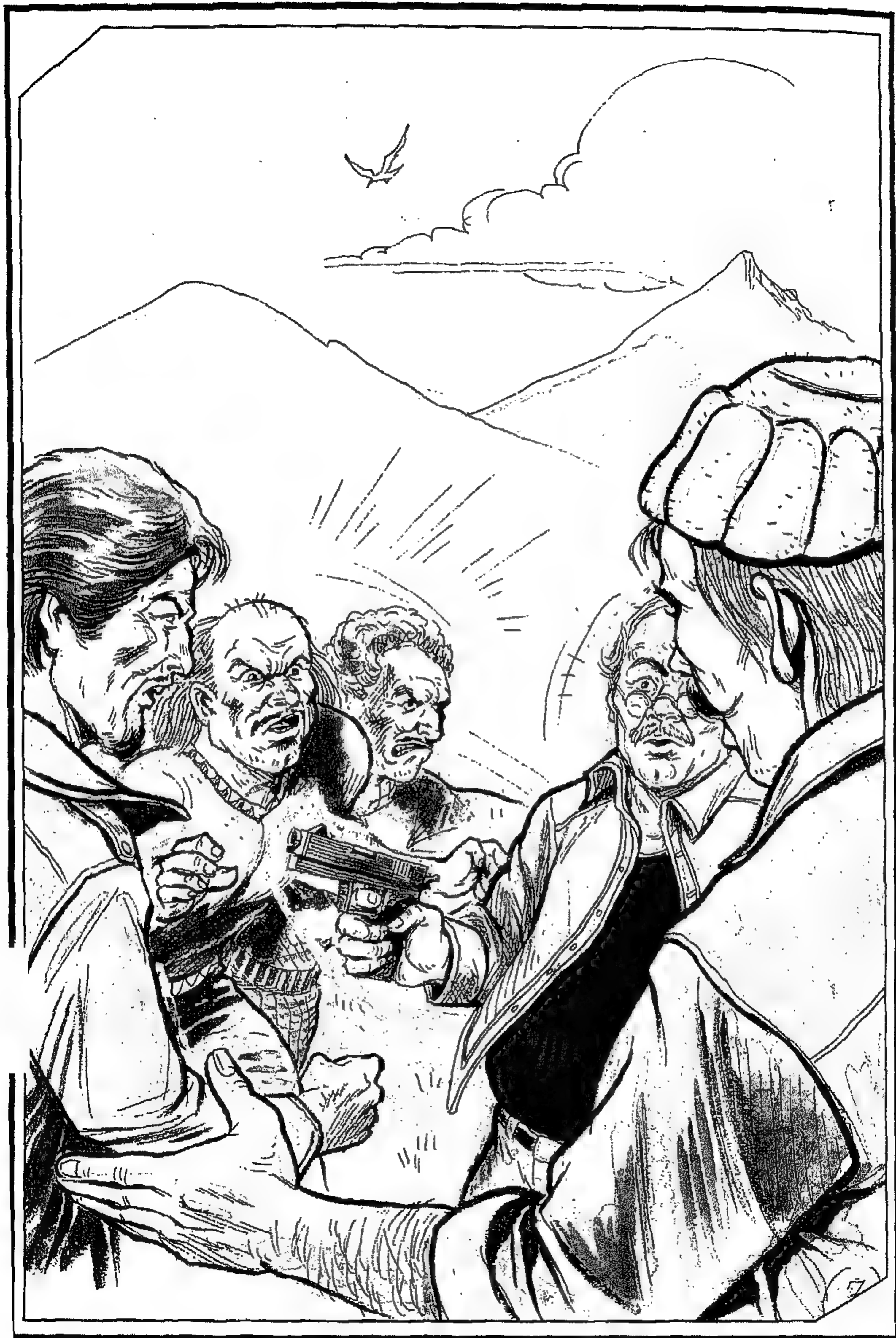
وَاقْتَرَبَ مِنْهُ الرَّئِيسُ بَضْعَ خَطَوَاتٍ مُشِيرًا إِلَيْهِ بِإِصْبَعِهِ ،
وَكَاشِفًا عَنْ خَنْجَرٍ كَبِيرٍ فِي حِزَامِهِ الْوَاسِعِ الْمُرَصَّعِ بِالنُّحَاسِ :

- اِسْمَعْ ، إِكْرَامًا لِتَمَثِيلِكَ سَنَتْرُكُكَ تَذْهَبُ .

فَتَنَهَّدَ الطَّيِّبِيُّ الصُّعْدَاءَ فِي سِرِّهِ ، وَلَكِنَّ ارْتِيَا حَهُ لَمْ يَطُلْ ؛
فَقَدْ أَضَافَ الْأَفْقَمُ :

- وَلَكِنْ بِشَرِطٍ ، أَنْ تَتْرُكَ لَنَا السِّيَّارَةَ وَالْمَرْأَةَ ، وَتَذْهَبَ .

وَأَحْسَ بَوَاجِهِهِ يَمْتَقِعُ فَجَاءَةً ، وَبِأَعْصَابِهِ تَكَادُ تُفْلِتُ مِنْهُ ،
وَأَنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَصْرُخَ فِي وَجْهِهِ : « تِلْكَ الْمَرْأَةُ زَوْجَتِي ، وَأُمُّ
أَوْلَادِي أَهْلُ الْكَلَابِ ! وَلَنْ تَصِلُوا إِلَيْهَا إِلَّا فَوْقَ جُثَّتِي ! » ،
وَلَكِنَّهُ رَاجَعَ نَفْسَهُ بِسُرْعَةٍ ، وَكَأَنَّهُ يُنْصِتُ لِمُلَقِّنِ الْمَسْرَحِ يَهْمِسُ

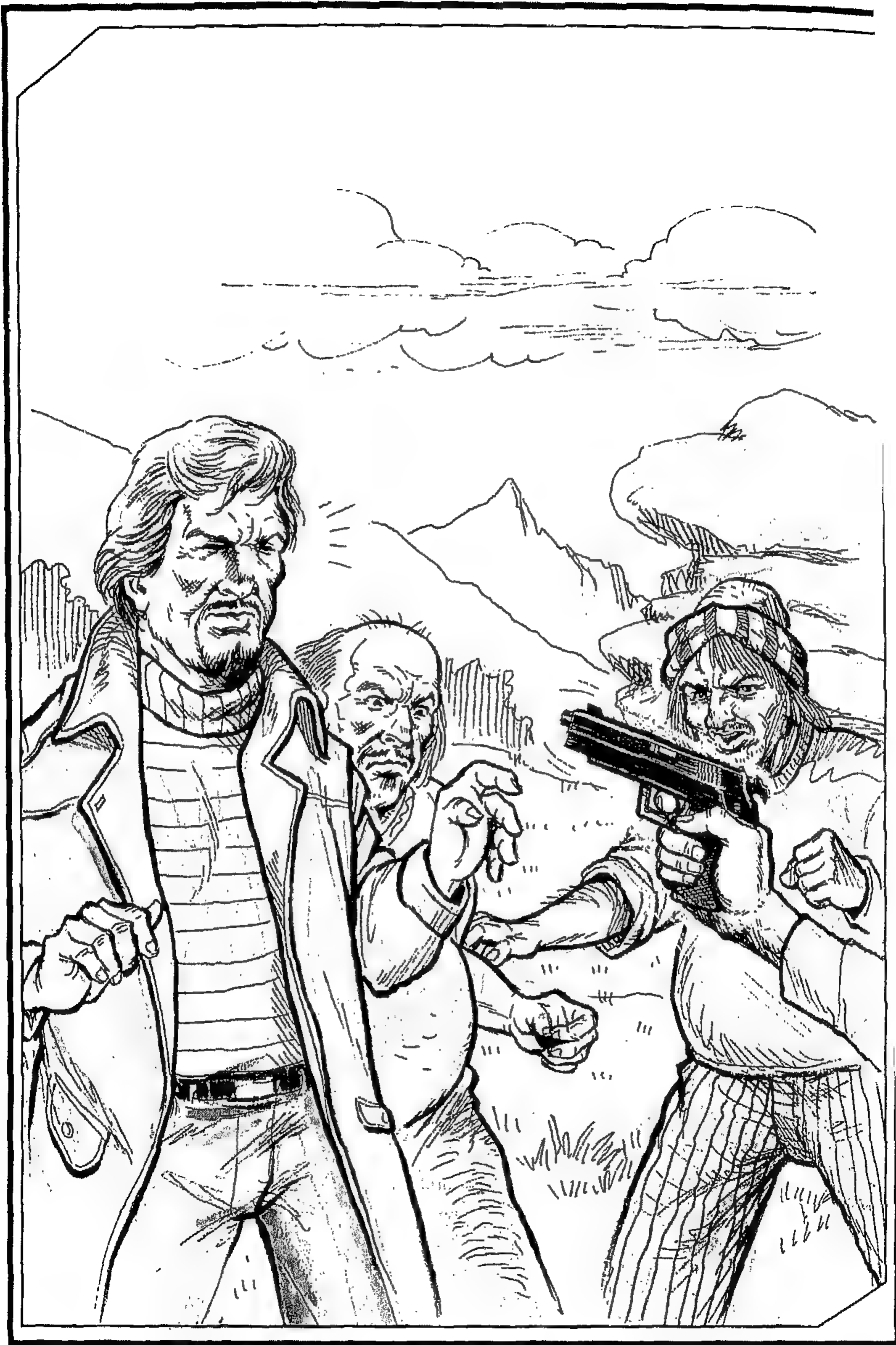


لَهُ: «الزَمِ السَّيَّارِيُو ! لَا تَلْعَبْ فِي أَيْدِيهِمْ . لَا تَفْقِدْ أَعْصَابَكَ
فِيحْتَقِرُوكَ وَيَغْلِبُوكَ !» .

«وَلَكِنْ ، يَا إِلَهِي ! مَاذَا أَفْعَلُ الْآنَ ؟ ! هَذِهِ مُفَاجَأَةٌ لَمْ
أَتَوَقَّعْهَا !» .

وَقَبْلَ أَنْ يُحْسُوا بَارْتَبَاكِه ، تَدَارَكَهُ ذِكَاؤُهُ الْمَسْرِحِيُّ ، فَقَالَ :
- أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ فَقَطْ أَنَّنِي مُمَثِّلٌ ! وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمُمَثِّلُ ، فِي
هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنْ يَشْتَرِيَ سَيَّارَةً وَمَنْزِلًا ؟ بَلْ هَلْ يَسْتَطِيعُ ، بِدَخْلِهِ
التَّافِهِ ، حَتَّى أَنْ يَتَزَوَّجَ كَبَقِيَّةِ عِبَادِ اللَّهِ ؟ ! كَلَّا ! لِذَلِكَ فَأَنَا الْآنَ
أَعْمَلُ مَعَ رِجَالِ الْأَمْنِ . وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ عِصَابَةَ عَيْنِ الذَّنَابِ
تَرَكَّتْ الدَّارَ الْبَيْضَاءَ بِالْأَمْسِ فِي اتِّجَاهِ الرَّبَاطِ . وَقَدْ تَطَوَّعْتُ
لَأَكُونَ طُعْمًا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمُنْعَزِلَةِ ، لِأَنَّكُمْ دَائِمًا تَخْتَارُونَ
ضَحَايَاكُمْ مِنْ مَتَجَعِي الْأَمَاكِنِ الْخَالِيَةِ ! وَقَدْ صَدَّقَ حَدِثِي
الْبُولِيسِي . فَمَرْحَبًا بِكُمْ فِي سِجْنِ الرَّبَاطِ .

وَهُنَا نَظَرَ الْأَفْقَمَ إِلَى بَقِيَّةِ الْعِصَابَةِ ، وَصَاحَ فِيهِمْ :
- إِنَّهُ يَكْذِبُ ! يُمَثِّلُ . تَعَالَوْا نَزِلْهُ مِنْ طَرِيقِنَا ، وَنَأْخُذِ السَّيَّارَةَ
وَالْمَرْأَةَ وَنَبْتَعدُ عَنْ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْمَشْؤُومَةِ !



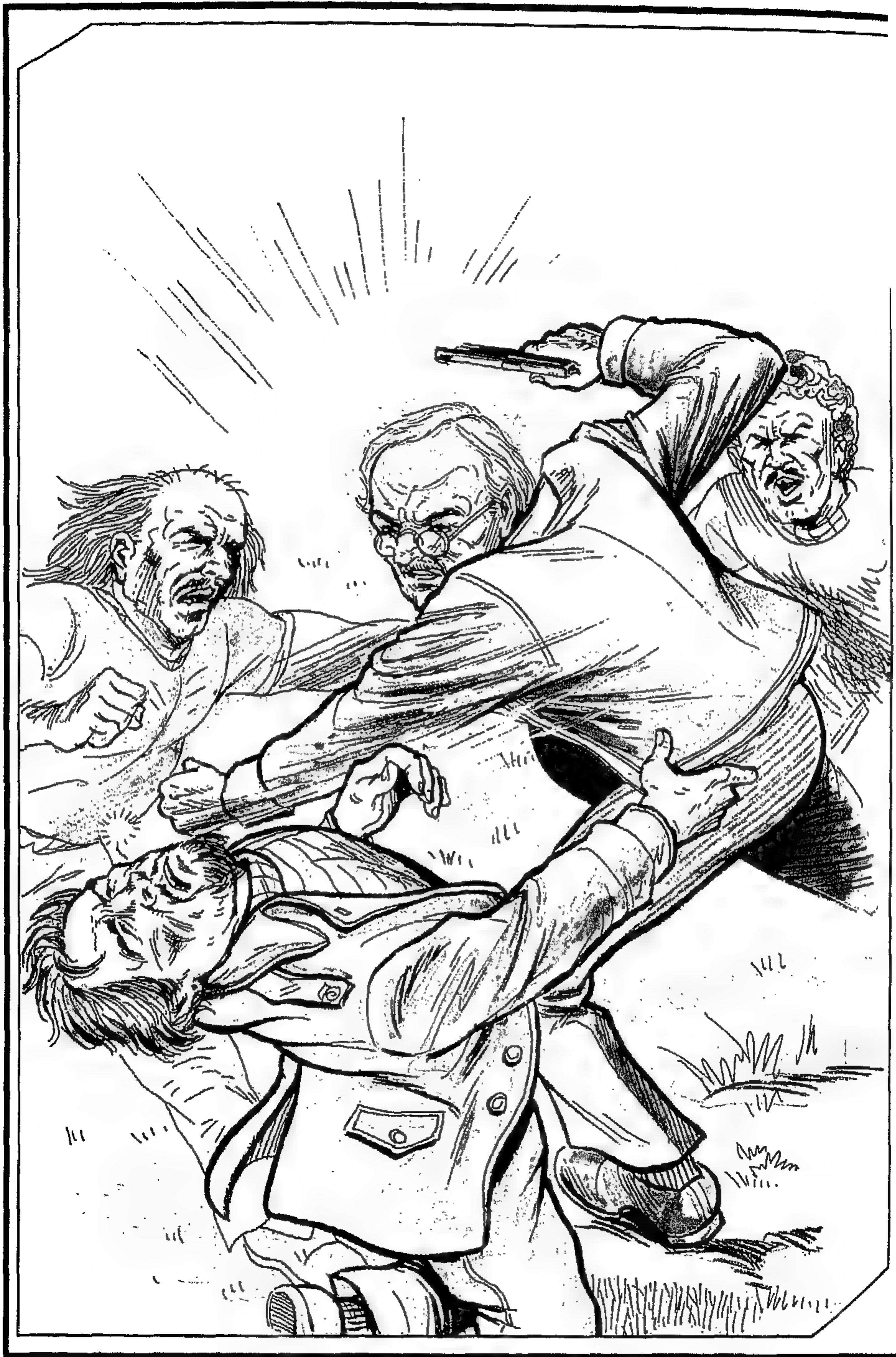
وتحرّك البعض ، وبقي البعض ثابتًا في مكانه ، فصاح فيهم
الطّبي :

- لَنْ تذهَبُوا بعيدًا . إِنَّكُمْ مطوقون مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ! والبلدُ
كُلُّهُ يَبْحَثُ عَنْكُمْ . فَقَدْ رَصَدَتْ عَائِلَةٌ صَحِيَّتَكُمْ الأخيرةَ جَائِزَةً
بمبلغِ مائَةِ مَلِيُونٍ لِمَنْ يَقْبِضَ عَلَيْكُمْ ، أَوْ يَأْتِي بِأَحَدِكُمْ حَيًّا أَوْ
مَيِّتًا ! أَلَمْ تَعْرِفُوا ذَلِكَ ؟ طَبْعًا لَا . إِنَّكُمْ أُمِّيُونَ لَا تَقْرَأُونَ وَلَا
تَكْتُبُونَ .

وانحنى فالتقطَ الجريدةَ ، وعرضَهَا عَلَيْهِمْ :

- انظُرُوا . كُلُّ ذَلِكَ فِي جَرِيدَةِ الْيَوْمِ . الْجَائِزَةُ لِأَيِّ وَاحِدٍ
يَذُلُّ عَلَى رَئِيسِ الْعِصَابَةِ ! حَتَّى مِنْ بَيْنِ أَفْرَادِ الْعِصَابَةِ نَفْسِهَا .
أَيُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَمْكِنُهُ الْحُصُولُ عَلَى عَفْوٍ شَامِلٍ عَنْ جَمِيعِ
أَعْمَالِهِ مَعَ الْعِصَابَةِ إِذَا أَخْبَرَ الشُّرْطَةَ بِمَكَانِ الْعِصَابَةِ ، أَوْ أَخَذَ
أَحَدَ أَعْضَائِهَا .

وهنا بَدَأَ أَعْضَاءُ الْعِصَابَةِ يَتَعَدُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ،
وَيَنْظُرُونَ حَوَالِيَهُمْ فِي شَكٍّ وَارْتِيَابٍ شَدِيدٍ . . .



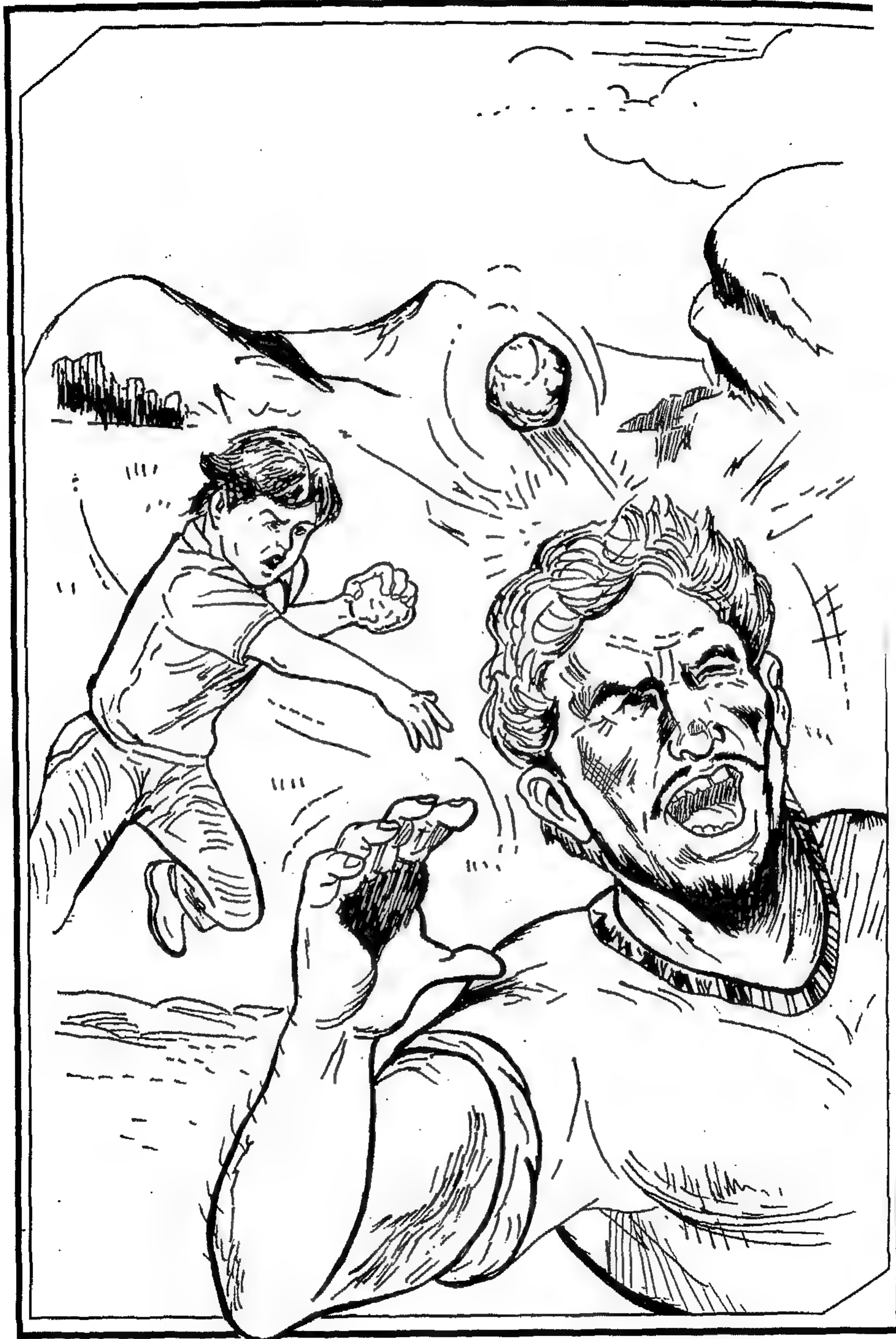
وزَادَ وَجْهَ الْأَفْقَمِ اعْوَجَاجًا وَهُوَ يَنْظُرُ بِمَقْتٍ شَدِيدٍ إِلَى أَحْمَدَ
الطَّيْبِيِّ ، وَاسْتَلَّ خِنْجَرَهُ ، وَمَشَى نَحْوَهُ بِخَطَوَاتٍ وَاسِعَةٍ .
وَارْتَبَكَ الطَّيْبِيُّ ، فَأَخَذَ يَتَعَدُّ وَيَصِيحُ فِيهِ :

- إِلْزِمَ مَكَانَكَ ، أَوْ أُطْلِقُ النَّارَ !

- إِذَا كَانَ مَا قُلْتَهُ صَاحِحًا عَنِ التَّطْوِيقِ وَالْجَائِزَةِ ، فَلَنْ
أَتْرَكَكَ حَيًّا لَتَتَمَتَّعَ بِهَا ، أَوْ لَتَشْفَى مِنِّي حِينَ يَقْبِضُونَ عَلَيَّ .

وَعَثَرَ الطَّيْبِيُّ فِي الْكُرْسِيِّ الْقَصِيرِ خَلْفَهُ وَسَقَطَ عَلَى ظَهْرِهِ ،
وَارْتَمَى عَلَيْهِ الْأَفْقَمُ ، فَأَمْسَكَ الطَّيْبِيُّ بَرَسِغِ يَدِهِ الْقَابِضَةِ عَلَى
الْخِنْجَرِ لِيُبْعِدَهُ عَنْ وَجْهِهِ . . . وَتَدَخَّرَ الْاِثْنَانِ عَلَى الْأَرْضِ
حَتَّى كَادَا يَقَعَانِ فِي الْبَحْرِ . وَشَسَّ الطَّيْبِيُّ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْعَصَابَةَ
سَتَهْبُ إِلَى مَسَاعِدَةِ رَأْسِهَا وَالْإِجْهَازِ عَلَيْهِ هُوَ ، وَلَكِنَّ انْتِظَارَهُ
طَالَ ، وَهُوَ يُصَارِعُ الْمَارِدَ الشَّرِيسَ بِقُوَّةٍ لَمْ يَعْهَدَهَا فِي بَدَنِهِ مِنْ
قَبْلُ .

وَاسْتَطَاعَ الْأَفْقَمُ فِي النَّهْيَاةِ أَنْ يُمْسِكَ بِيَدَيِ الطَّيْبِيِّ ،
وَيَضَعُهَا تَحْتَ رُكْبَتَيْهِ ، وَيَرْفَعُ الْخِنْجَرَ لِيُغْرَسَهُ فِي صَدْرِهِ .



وفي تلك اللحظة نزل حَجَرٌ عَلَى رَأْسِ الْأَفْقَمِ ، فَأَفْقَدَهُ
الْوَعْيَ ، وَسَقَطَ عَلَى صَدْرِ الطَّيِّبِ كَالْخُرُوفِ الْمَذْبُوحِ .

وفتح الطَّيِّبُ عَيْنَيْهِ ، لِيَرَى وَلَدَهُ طَارِقاً يُزِيحُ جَسَدَ رَئِيسِ
الْعَصَابَةِ مِنْ فَوْقِ صَدْرِهِ ، وَيُمْسِكُ بِيَدِهِ لِيُسَاعِدَهُ عَلَى
الْوُقُوفِ ، فَيُعَانِقُهُ بِحَرَارَةِ وَقْوَةٍ ، وَيَنْفَجِرُ بَاكِياً .

وانضمت إليهما زوجته زُيْدَةُ وَوَلَدُهُ رِضَا ، فَأَخَذَ يَنْظُرُ
حَوَالِيهِ فِي دَهْشَةٍ ، وَقَدْ اَزْدَحَمَ الْمَكَانُ بِالنَّاسِ ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ
انْشَقَّتْ عَنْهُمْ

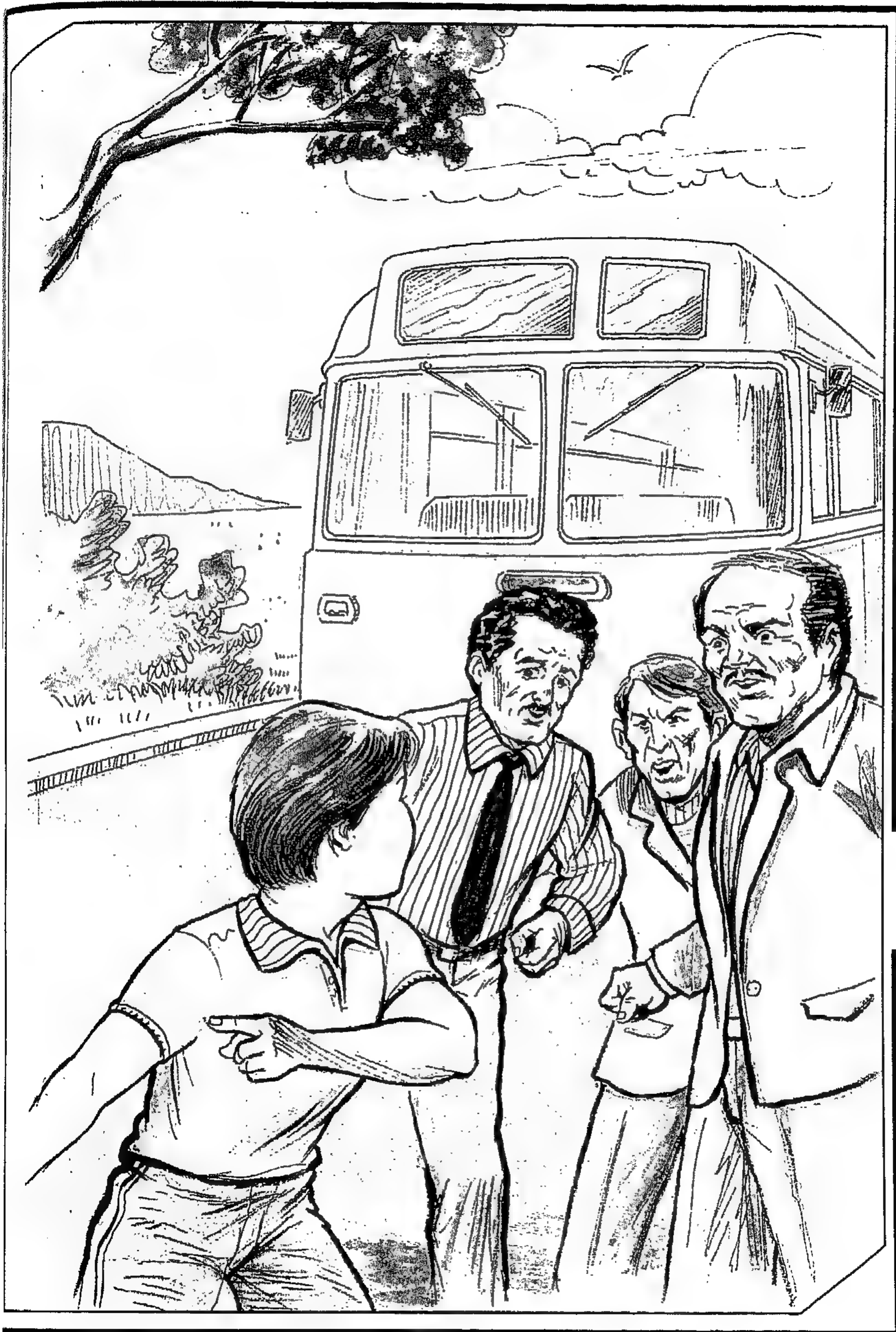
وَحِينَ اقْتَادَ النَّاسُ أَفْرَادَ الْعَصَابَةِ ، وَأَيَقَظُوا رَئِيسَهَا ، وَعَادَ
أَحْمَدُ الطَّيِّبِ وَعَائِلَتُهُ إِلَى سَيَّارَتِهِمْ ، حَكَى لَهُ طَارِقٌ مَا فَعَلَ حِينَ
هَجَمَتِ الْعَصَابَةُ .

قَالَ : « حِينَ أَذْرَكْتُ أَنَا مُطَوَّقُونَ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي لَا يَنْبَغِي
أَنْ أَضِيعَ دَقِيقَةً وَاحِدَةً فِي الْحَسْرَةِ وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ . فَخَلَعْتُ
مَلَاسِي إِلَّا الْحِذَاءَ ، وَمَشَيْتُ عَلَى حَرْفِ الْجُرْفِ الْقَرِيبِ مِنَ
الْمَاءِ . وَلِحُسْنِ حَظِّي لَمْ تَكُنِ الْأَمْوَاجُ عَالِيَةً ، حَتَّى ابْتَعَذْتُ عَنْ

هَذَا الْمَكَانِ ، وَخَرَجْتُ مِنْ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، وَسَطَ الْغَايَةِ كَيْ لَا
يَرَانِي أَفْرَادُ الْعَصَابَةِ . مِنْ هُنَاكَ أَطْلَقْتُ سَاقِيَّ لِلرَّيْحِ حَتَّى
وَصَلْتُ طَرِيقَ السَّيَّارَاتِ . وَحَاوَلْتُ بِكُلِّ قُوَايَ وَقُدْرَتِي عَلَى
التَّمْثِيلِ أَنْ أَوْقِفَ سَيَّارَةً خَاصَّةً وَاحِدَةً ، فَلَمْ أَفْلَحَ . . « قُلُوبُ
الْحِجَارَةِ ! » .

فَعَلَّقَ أَبُوهُ : « لَا تَقْسُ عَلَيْهِمْ يَا وَلَدِي ؛ فَالنَّاسُ يَخَافُونَ ،
وَمَنْ سَيَقِفُ لَوْلَدٍ عَارٍ وَسَطَ الطَّرِيقِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ؟ » .

وَاسْتَأْنَفَ طَارِقُ : « وَلَكِنِّي رَأَيْتُ حَافِلَةً ضَخْمَةً آتِيَةً مِنْ
الدَّارِ الْبَيْضَاءِ مَلِيئَةً بِالرُّكَّابِ ، فَوَقَفْتُ أَمَامَهَا ، أَلُوْحُ بِكُلِّتَا
يَدَيَّ ، وَهِيَ قَادِمَةٌ نَحْوِي بِسُرْعَةٍ ، وَالسَّائِقُ يُشْعِلُ النُّورَ فِي
وَجْهِهِ حَتَّى أَحِيدَ لَهُ عَنِ الطَّرِيقِ . وَحِينَ تَأْكُذْتُ مِنْ أَنَّهُ رَأَى
أَلْقَيْتُ بِنَفْسِي أَمَامَهُ ، وَأَغْلَقْتُ بِجَسَدِي الطَّرِيقَ . وَسَمِعْتُ
زَعِيقَ عَجَلَاتِهِ الضُّخْمَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَأَيُّقَنْتُ أَنَّهُ سَيَدُوسُنِي
فَتَشْهَدْتُ ، وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ . وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ . فَقَدْ تَوَقَّعْتُ
الْحَافِلَةَ الْهَائِلَةَ ، وَعَجَلْتُهَا الْأَمَامِيَةَ الْيُمْنَى تَكَادُ تَلْمَسُ رَأْسِي .



ونَزَلَ النَّاسُ ، وَجَاءَ السَّائِقُ غَاضِبًا يُرِيدُ أَنْ يَضْرِبَنِي ،
فَصِخْتُ فِيهِمْ بِأَعْلَى صَوْتِي : «أَبِي وَأُمِّي وَأَخِي الصَّغِيرِ فِي
خَطَرٍ ! عِصَابَةُ الدَّارِ الْبَيْضَاءِ تَطْوِقُهُمْ هُنَاكَ عَلَى حِصَافِ
الْجُرْفِ . أَرْجُوكُمْ تَعَالَوْا مَعِيَ لِإِنْقَادِهِمْ . . . » .

وَتَقَدَّمَتْهُمْ أَجْرِي ، وَهُمْ خَلْفِي ، حَتَّى اقْتَرَبْنَا ، وَرَأَا أَفْرَادُ
الْعِصَابَةِ ، فَحَاوَلُوا الْهَرُوبَ ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ ، فَقَدْ
طَوَّقَهُمْ رُكَّابُ الْحَافِلَةِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَأَمْسَكُوا بِهِمْ وَاحِدًا
وَاحِدًا كَالدَّجَاجِ . وَقَصَدْتُ أَنَا رَئِيسَ الْعِصَابَةِ فَأَدْرَكْتُهُ وَهُوَ
يَكَادُ يَطْعُنُكَ بِالسَّكِينِ ، فَالْتَقَطْتُ حَجَرَ «الْمَرَاغَةِ» وَهَوَيْتُ بِهِ
عَلَى رَأْسِهِ . . . » .

وَضَمَّتْهُ أُمُّهُ وَبَكَتْ . وَبَقِيَ وَالِدُهُ أَحْمَدُ الطَّيِّبِيُّ يُرَدِّدُ : «اللَّهُ
يَرْضَى عَنْكَ ، يَا وَلَدِي ! اللَّهُ يَرْضَى عَنْكَ بِقَدْرِ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ
نَجُومٍ ، وَمِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ ، وَحَبَّاتِ الرَّمْلِ فِي
الصَّحَرَاءِ ؛ فَقَدْ أَنْقَذْتَ حَيَاتِي» .

فَسَأَلَ طَارِقٌ : «فِي الْوَاقِعِ كُنْتُ يَائِسًا مِنَ الْمَجِيءِ فِي الْوَقْتِ

المناسب . فكيف استطعت أن تؤخر هجومهم عليكم طول
هذه المدة؟! .

فردَّ أحمد الطيبي : « والله ، يا ابني ، لا أذري كيف ؟
تملكتني غريزة حبِّ البقاء ، فدافعتُ عن نفسي بأحسن وسيلة
أتقنها ، التمثيل ! » .

وعَلَّقتِ الأم : « لو كنت هناك ، يا طارق ، لرأيت والدك
يُمثِّل أعظم دورٍ في حياته ! حتَّى أنا انخدعتُ ، وصدقتُ ما
كانَ يَقُولُهُ عَنْ كَوْنِهِ مَعَ البوليس ، وأنه كانَ يَتَنَظَّرُهُم هناك كفَخٍّ
بشريٍّ حيٍّ ! لِدرَجَةِ أنِّي ارتحتُ وزالَ عني الخوفُ ! » .

وسألَ رضا أخاهُ طارقًا :

« ولكن لماذا خلعتَ ملابسك لتذهب للمجيء بالنجدة؟ »

فردَّ طارقُ : « لأستطيعَ السَّباحةَ إذا سقطتُ في البحر ،
وحتَّى لا يَسْتَطِيعُوا الإمساكَ بي إذا طاردوني ! » .

وضحك الأربعة من القلب !

Okwell
O'Brien
(01) 4983392

هذه السلسلة

تضم هذه السلسلة مجموعة
مختارة من القصص والروايات
التربوية التشويقية المختارة
للكاتب المغربي المعروف أحمد
عبد السلام البقالي، الحاصل علي
جائزة «المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم».



وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس،
وخياله الخصب، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من
مفاجأة إلى أخرى، ومن عالم إلى آخر، يقرب للقارئ
أحداث الماضي البعيد، ويلقي الأضواء
المستقبل، بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحاضر
فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية
الحديثة للشباب في العالم العربي.

Bibliotheca Alexandrina



0359518

مكتبة